

«إنسانية» الشيخ القرضاوي!



الخميس 28 أبريل 2016 01:04 م

بقلم : محمد ثابت

«يكفي تركيا شرفاً وفخراً في عالم اليوم إنها استضافت المهاجرين والمشردين والمستضعفين في الأرض، وجعل الله لها سلطانها، الذي يعرفه الناس باسم رجب «الطيب» أردوغان، رئيس الجمهورية التركية، الرجل الذي تحمل ما تحمل من أجل بقاء هؤلاء المطرودين على هذه الأرض وتحت هذه السماء!».

أين المتعلقون بطرف هذب، وعين الإنسانية، أولئك الذين يجرونها من طرف رداها كيلا تتقدم إلى الأمام؟

أين الذين لا همّ لهم سوى «خزي» إخوة لهم في البشرية، وتصنيع السلاح الذي يتم قتله به؟ أين الذين يلقون بالقمح والغذاء في البحار والمحيطات كيلا يصل إلى المُعوزين والجوع في العالم خاصة في مناطق الحروب والمجاعات؟

أين مهربو الملايين إلى بنوك سويسرا وأوروبا؟ وهم متأكدون في أنهم لن سيتمتعوا بهذه الأموال أو حتى يرونها ثانية؟؟ فقط يحرمون الفقراء والمحتاجين من شعوبهم منها؟

أين الجبابرة الذين أبادوا مئات الآلاف خاصة من المسلمين، دون ذنب أو جريمة سوى رغبتهم في الحفاظ على متعة خاصة بهم أو بنسائهم أو حتى صغارهم الذين جاؤوا إلى الحياة أو الذين لن يجيئوا؟

أين كل إنسان افتقد من البشرية حتى مجرد أن يليق به لقب «إنسان» فقط؟

وأين المنافقون وتجار الحروب والمُندسون، بعناية، وسط الشرفاء والثوار المُطاردين لكي يأكلوا على حسابهم ويسرقوا مال التبرعات القادم إليهم؟ ويفعلوا المُوبقات بها ثم يجربون طرف رداء الإنسانية إلى الخلف لما يتسموا بالباطل بها؟!

أين كل هؤلاء ليروا الشيخ الذي بلغ التسعين، ولم يستطع صعود الدرج السلم الخاص بقاعة احتفال مهرجان «شكراً تركيا» خلال افتتاحه الجمعة الماضية، فجلس أسفل السُّلم ليبكي على حال المُسلمين المهاجرين من بيوتهم، وقد تهدمت، على المُتنازلين عن حرمتهم وبلاد ولدوا وتربوا وترعروا فيها لمجرد أنهم قالوا كلمة حق في وجه حاكم مفترٍ ظالم؟

تلك الدموع أسرت صاحب هذه الكلمات، وسافرت به حتى بعيد، إلى زمن بساطة الحياة ونقاها، وازدياد المعنويات في قلوب الناس، وحضور بل ألق الإيمان في النفوس وبهائه من ، قبل، لدى الأرواح، الدموع سافرت بي إلى زمن التابعين وتابع التابعين، يا «فضيلة الشيخ» لو أن في الناس، المفترض أنهم شرفاء، رحمة ببعضهم البعض لقبوا جميعاً برأيك في رأب الصدع وإزالة الخلاف، أولئك المُعلن في 25 من يناير الماضي؟؟ والمعروف والمستمر حتى اليوم، وما من داع لذكره هنا!

أما عن معرفتي الشخصية بالشيخ فقليلة، وإن كانت دالة، روى لي صديقي الدكتور «نبيل فوللي»، الأستاذ بالجامعة الإسلامية بباكستان إنه ألتقى الشيخ للمرة الأولى، فسأل كل الأساتذة عن أسمائهم وأسماء أبنائهم بما فيهم هو، وأخبرهم أن السبب إنه يسير على خطا الراحل الإمام حسن البنا، رحمه الله في حفظ أسماء الناس الذين يلتقي بهم، وفي الزيارة التالية بعد عامين سأل كل واحد منهم عن اسمه واسم أهله؟؟ كأنه ألتقى بهم منذ ثوانٍ لا منذ عامين!

ثم شاء الله تعالى أن ألتقيه وجهاً لوجه في دورة مجلس الفتوى لعلماء أوروبا قبل الأخيرة بتركيا، وكان العلماء يتناقشون في مسودة الفتاوى الختامية، وكنت أتابع الجلسة من مقاعد خلفية بصفتي مُحب للقاء وللعلماء، وبصفتي صاحب رأي، وراعتني أن قال الشيخ، حفظه الله:

- المسودات هذه ليست للنشر، نحن أبتلينا بصحفيين في الدورة الأخيرة، يقصد قبل دورتين، خرجوا بالمداولات إلى العلن، وهذا لم يكن يجوز!

ولم يلتفت الشيخ ليسأل عن صحفيين حاضرين أو غير العلماء، وإن نؤه بلطف وانتهى الأمر

السنة الماضية دعيتُ، بشكل خاص، إلى مؤتمر آخر لعلماء الدين في دورة أولى، وحدث خلاف في الرأي بيني وبين أحد العلماء لسوء فهم ما من أحد الطرفين، وتدخل الشيخ الفاضل الموريتاني "الشيخ محمد الحسن ولد ددو"، فوضح الامر للطرفين، وكان قد ألتبس على عالم دين شهير وآخر، وتداعى لنجدتهم آخرين، ولأن المجالس بالأمانات، وقد طلب مني ألا أروي ما حدث فقد فعلتُ بعدما بينتُ أن حضور مثلي كصاحب رأي واجب، لكنني علمتُ في اليوم التالي بمنع حضور غير العلماء للجلسات فيما عدا النهائية فترحمتُ على أدب ولين وحزم الشيخ القرضاوي!

أما غيرة الشيخ القرضاوي على الدين والخُرمات ولماحيته وهو في هذه السن فحدث ولا حرج، في المرة الأولى التي رأيته فيها تحدث عن جهاد وكفاح المرأة المصرية والعربية بما اثلج الصدر، وفي شكراً تركيا تحدث عن دفاع «السلابقة» عن العالم الإسلامي، وهم اصل الدولة التركية الحالية، ثم عرّج على مسلمي العالم اليوم فقال:

- مليار وسبعة من عشرة، وكنا في المدرسة الإلزامية نحفظ عددهم بخمسة عشر مليوناً!

ولد الشيخ القرضاوي في 9 من سبتمبر 1929م، بقرية «صفط تراب» بالمحلة الكبرى بمديرية الغربية آنذاك

وصاحب هذه الكلمات يُعادر القاعة بعد كلمة الإمام القرضاوي تذكرت حكاية أبي نصر الصياد» الذي أبدع في روايتها الراحل مصطفى صادق الرافعي» في كتابه «وحي القلم الجزء الثالث»، وكان «الصياد» لا يجد قوتاً ولقيه جائع فأخذه ليصيده فخرجت سمكة كبيرة، فباعها واشترى بثمنها حلوى للفقير، وهو في الطريق لقيته امرأة تتلوى ومعها يتمتين فأعطاهما طعام أولاده وزوجته قائلاً: لو طعمنا هذه ما خرجت السمكة!

وبعد حين قصير اغتنى، وقامت القيامة، وسأله رب العباد عما قدم، وجاءت صحفه، فلم يكن بها ما يدخله الجنة، وأيقن بدخوله النار، لكن رب العزة استبقاه، فقد بقيت له دموع اليتيمين والمرأة أمها لما اعطاهما الحلوى، تلك الدموع طاشت بالسيئات ووزنت الحسنة وزادت ودخل الجنة!

طبعاً قامت القيامة لدى «أبي نصر الصياد» في المنام

ولعل دموع الشيخ الإمام علامة عصره في «استنبول» الجمعة الماضية للمهاجرين والمشردين المسلمين في تركيا تكون عوناً لهم على أمر دنياهم، وعوناً له على أمر آخرته، أطل الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية وحفظه لنا ولمحيته!

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كاتبها فقط ولا تعبر بالضرورة عن رأي الموقع